

الزهراء (ع) واقع تاريخي أم نسق متخيل قراءة في فكري

لامنس و بسام الجمل

م.م. محسن بدر مارد النيازي

الاختصاص: اللغة العربية /الادب الاسلامي

كلية الإمام الكاظم (ع) الجامعة / اقسام ذي قار

mhsnbdrnard@gmail.com

المخلص:

لقد شرعت مؤسسات التضليل بكافة أشكالها المقروء والمسموع والمشاهدة في صناعة آليات موجهة ومنظمة ومتدرجة تعمل بشكل حثيث ومتدفق في التأثير على عقل المتلقي بتأسيس, أستخدم فيها التحريف والتزييف والتسويق والدس وعرض الأغاليط على إنها حقائق مسلمة مع نسف آليات ومعايير التمييز والتحقق, وذلك من خلال "تضخيم المغالطات والتأكيد على صحتها"; كما عملت أدوات التضليل وبكل جدية واجتهاد على بناء ذاتها وتطوير أدواتها وتبادل أدوارها من خلال رصد الأموال الطائلة والميزانيات الضخمة لتصبح منهجاً يدرس في المؤسسات - العلمية - العاملة في صناعة التضليل والتزييف والتحريف , و نجحت العديد من المدارس التضليلية في بناء وتشكيل أساليب صورية مقننة ثابتة غير منطقية في الخطاب لتضليل المتلقي والسير به كما وإلى أين تشاء من خلال إرساء صيغة تحفيزية عدوانية تقوم على الاستفزاز الذي يؤدي إلى هيمنة وترسيخ هذا الخطاب فهو الذي يقوم على الحقيقة المطلقة وينفرد بها دون غيره ولا يشاركه فيها أحد من خلال الإيهام بتطبيق مبدأ ونظرية أنه من يمتلك الحقيقة.

الكلمات المفتاحية : (الواقع التاريخي, المتخيل, لامنس, بسام الجمل).

Al-Zahra' (PBUH) a historical reality or an imaginary format A reading in the mind of Lamens and Bassam Al-Jamal

Mohsen BadrMaredNiazi

Specialization: Arabic language / Islamic literature

Imam Al-Kadhim (peace be upon him) University College / DhiQar

Departments

Abstract:

Misleading institutions, in all their forms, read, listened, and watched, have begun to manufacture directed, organized and gradual mechanisms that work in an active and flowing manner to influence the mind of the recipient by establishing, using distortion, falsification, procrastination, intrusion, and presentation of falsehoods as Muslim facts while undermining the

mechanisms and criteria of discrimination and verification, through “inflating” fallacies and confirming their correctness”; The disinformation tools have also worked seriously and diligently to build themselves, develop their tools, and exchange their roles by allocating huge funds and huge budgets to become a curriculum taught in scientific institutions working in the manufacture of disinformation, counterfeiting and distortion. It is logical in the discourse to mislead the recipient and take it as and to where it wants by establishing an aggressive motivational formula based on provocation that leads to dominance and consolidation. In their dialectical, deceptive approach that monopolizes the truth, misinformation schools have used all means of deception, deception, camouflage, and evasion with skill and craftsmanship, based on formal dialectics, sharp competition, and irrational justification based on “overpowering and an approach that is repeated and then repeated until you believe”.

المقدمة :

لقد شرعت مؤسسات التضليل بكافة أشكالها المقروء والمسموع والمشاهدة في صناعة آليات موجهة ومنظمة ومتدرجة تعمل بشكل حثيث ومتدفق في التأثير على عقل المتلقي بتأسيس، أستخدم فيها التحريف والتزييف والتسويق والدس وعرض الأغاليط على إنها حقائق مسلمة مع نفس آليات ومعايير التمييز والتحقق، وذلك من خلال "تضخيم المغالطات والتأكيد على صحتها"؛ كما عملت أدوات التضليل وبكل جدية واجتهاد على بناء ذاتها وتطوير أدواتها وتبادل أدوارها من خلال رصد الأموال الطائلة والميزانيات الضخمة لتصبح منهجاً يدرس في المؤسسات - العلمية - العاملة في صناعة التضليل والتزييف والتحريف ، و نجحت العديد من المدارس التضليلية في بناء وتشكيل أساليب صورية مقننة ثابتة غير منطقية في الخطاب لتضليل المتلقي والسير به كما وإلى أين تشاء من خلال إرساء صيغة تحفيزية عدوانية تقوم على الاستفزاز الذي يؤدي إلى هيمنة وترسيخ هذا الخطاب فهو الذي يقوم على الحقيقة المطلقة وينفرد بها دون غيره ولا يشاركه فيها أحد من خلال الإيهام بتطبيق مبدأ ونظرية أنه من يمتلك الحقيقة ، .واستخدمت مدارس التضليل في منهجها الجدلي التضليلي المحنكر للحقيقة كل وسائل التضليل والخداع والتمويه والمراوغة بمهارة وحرفية قائمة على الجدلية الصورية والتنافس الحاد والتبرير غير المنطقي القائم على

"المغالبة ومنهج كرر ثم كرر حتى تصدق" , كما تستخدم هذه المدرسة قوتها السحرية اللفظية الكلامية التلبيسية للسيطرة والتسلط على عقول الجماهير ونفسياتها ومعنوياتها، ومهدت إلى سيطرة قوتها الرهيبة المتمثلة في الكلمة العاشمة التي تسيطر على الرأي العام وتخضعه لمصلحة "صناع هذه القوة وأربابها" , دون اعتبار لقوله تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: " وهل يكب الناس على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم" , وعلى أساس ما تقدم نحاول أن نستعرض دور إحدى المؤسسات الهامة في الفكر الإسلامي والثقافي , والتي تعنى بالمقبولية لدى فئات كبيرة من المجتمع العربي الإسلامي , إذ أنها تقوم على أسس ومبادئ (حسب إداؤهم) تؤكد "أنّ الإنسان أوسع من أن تُختصر خيريته في دين أو مذهب أو طائفة أو عرق.... وأنّ كرامة الإنسان وسعادته تكمن في احترام حرّيته في التفكير والتعبير والاعتقاد". ومن فئات المؤسسة البحثية أيضا، "أنّ احترام ثقافة الآخر وذاته والدفاع عنها وصونها هو حماية لذاتنا ولهويتنا الإنسانية وضمان لأمننا وحرّيتنا"، ثمّ إنّ الإيمان الذي تدافع عنه المؤسسة هو إيمان بلا حدود لأنّه "يتعالى على التحيزات والفوارق العقائدية والعرقية والثقافية والدينية والمذهبية والطائفية... ويدفع بالإنسان للسعي نحو هذا التعالي في حركته وفكره وسلوكه", وبالرغم مما أوردنا من عينات الأسس والمبادئ التي قامت عليها هذه المؤسسة الفاعلة , لكنها تنشر كتاب ل (بسام الجمل) عنوانه : (جدل التاريخ و المتخيل سيرة فاطمة) , إذ سنحاول مناقشته بالنقد والتحليل والوقوف على المعطيات التي اتكأ عليها , والآليات التي أعتمدها في أطروحاته لسيرة الزهراء (ع) بمنهج تأريخي ، حاولنا من خلاله ان نتخذ حواراً تاريخيا من الواقع الإسلامي التاريخي للزهراء (ع) في الرد على ماجاء به بسام الجمل الذي ينتمي الى مؤسسة هي بحد ذاتها لاتؤمن بحقائق التاريخ الإسلامي لأنها تتخذ من الفكر الغربي الذي يدعي الحداثة من خلال الاقتراب الى الفكر الاخر,وبعد هذه المقدمة الموجزة شرع الباحث بالتمهيد الى الموضوع من خلال التطرق الى عملية التدوين والمراحل التي مر بها ؛ وذلك للوقوف على ما أحيط بتلك العملية من إشكاليات وتداعيات ومغالطات كان لها الأثر البالغ في الواقع التاريخيلأمة الإسلامية,ثم كان

المبحث الاول مقارنا بين اليسوعيلامنس ويسام الجمل في دراستهما لسيرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها ,ويدخل المبحث الثاني ليقارن بين المدون المختلف والمنتميلينتهي البحث بخاتمة ...

التمهيد :

اهتم العرب بالتاريخ منذ عصر ما قبل الإسلام، ونتج عن ذلك ظهور شكلين من أشكال المعرفة التاريخية وهما : الأنساب، وهي نوع من التاريخ يقوم على تتبع نسب القبائل العربية، وقد بالغ العرب في حفظ شجرة نسب القبيلة وتلقيها لأبنائهم جيلا بعد جيل حتى لا يختلط نسبها بأنساب القبائل الأخرى، وأما الشكل الثاني يتمثل بأيام العرب، والمراد بها أخبار القبائل والحروب التي خاضتها القبائل، وهي بمثابة سجل مفاخر القبيلة وبطولاتها، والغرض منها تعزيز الشعور بالهوية لدى أبناء القبيلة. وبظهور الإسلام اتخذ الاهتمام بالتاريخ منحى جديدا فلم تعد القبيلة صلب العملية التاريخية ومحورها وإنما الدين، وفي كنف الدين نما علم التاريخ وتطور فكان أول اشتغال للمسلمين به مع حاجتهم إلى معرفة سيرة نبيهم صلى الله عليه واله وسلم ، وتوفر لهذا الغرض رجال عكفوا على جمع أخبار السيرة وتدوينها ,ويمكن أن نعد عملية استقراء تاريخ الأمم والشعوب أمرا ميسورا وسهلا في وقتنا الحاضر , لكنه يصعب كثيرا في العصور السابقة , ونخص منها تاريخ العصر الإسلامي , إذ لم يتوفر للمؤرخ الإسلامي ما يوفر الآن من تقنيات واليات تسهل عمل المؤرخ , لذا تعرض مورثنا الإسلامي إلى الكثير من التدايعات والإرهاصات والإشكاليات لأسباب عديدة ومتباينة , إذ كان التحريف والتزييف والتغيير والقلب حاضرا في سرد مرويات المغازي, والسيرة , والسنة النبوية الشريفة , ونعزو ذلكالى أسباب عدة منها عدم شيوع الكتابة في المجتمع العربي بدوا وحاضرة , فضلا عن كون التدوين اعتمد الحفظ والمشافهة , وكذلك دور السلطات الحاكمة عصرئذ في تسييس عملية التدوين وفق مقتضيات مصالحها الإيديولوجية (السلطة الأموية والعباسية), وعلاوة على ذلك كان للاستشراقوالمستشرقيندورا بارزاومؤثرافي ذلك أيضا , وقبل الخوض في مراحل عملية التدوينالإسلامي , نبين ما تعرضت له الديانات التي سبقت الإسلاماليهودية

والنصرانية من ذلك ، إذ أكدت آيات القرآن الكريم الصريحة أن اليهود قد حرّفوا التوراة وغيرها من كتب الله المنزلة على أنبيائه من بني إسرائيل كقوله تعالى : {يحرّفون الكلم عن مواضعه} ^(١) ولقد انطلق علماءنا المسلمون من تلك الآيات وغيرها من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في تقديمهم للتوراة وما يتبعها من الأسفار المقدسة عند اليهود، واستخرجوا منها الأدلة والشواهد على تحقيق ما ذكره الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم من وقوع التحريف والتبديل والكذب في كتبهم، ويقول مؤلفو (قاموس الكتاب المقدس): لا توجد لدينا المخطوطات الأصلية (للعهد القديم والجديد) التي دونها كتبة الأسفار المقدسة، إذ يعللوا اليهود والنصارى فقدان النسخ والسند لكتبهم المقدسة وذلك لكثرة حوادث الاضطهاد والنكبات التي نزلت بهم خلال تاريخهم الطويل. ومن تلك الحوادث: الغزو الآشوري عليهم في سنة (٧٢٢) ق. م، ثم الغزو البابلي الشهير سنة (٥٨٦) ق. م ونتج عنه تدمير الهيكل وأخذ بني إسرائيل سبياً إلى بابل، ثم الاضطهاد اليوناني ومن بعده الاضطهاد الروماني الذي استمر لعدة قرون، وقد نتج عن هذه الاضطهادات إحراق أسفارهم وإتلافها ومنع قراءتها وقتل أبحارهم وعلمائهم ،ونضيف سبباً آخر مهماً لضياع أسفارهم، وانقطاع أسانيدهم، هو كثرة حوادث الردة والشرك في بني إسرائيل، وكفرهم بالله عزّ وجلّ، وإهمالهم للتوراة وغيرها، وهي مذكورة في أسفارهم المقدسة ، فهذه اللمحة البسيطة عما تعرض له الموروث اليهودي او النصراني من حوادث وإشكاليات هي أدلة واعية على حدوث التحريف والتزييف والتشويه فيها ، أما المورث التاريخي الإسلاميفقد بدا بأبسط أشكاله ، لتأخذه بعد ذلك الخبرات المتراكمة والاتجاهات المتعددة ، من حيث الاستيعاب والعمق ليطوي طريقه التكاملي في مراحل الأربعة وهي :

المرحلة الأولى: بعد أن كانت الرواية التاريخية تنقل شفاهاً في الغالب، شأنها شأن غيرها من السنن، إذ دخلت حيّز التدوين في وقت مبكّر، ولكن إلى جانب غيرها من السنن والآداب، في مدونات كان يكتبها بعض الصحابة لأنفسهم خاصّة لغرض الحفظ والرواية الشفهية للتلاميذ، ولسائر الناس. والكتابة من هذا النوع كانت منتشرة بين الصحابة، حتّى في عهد عمر حيث منعها بشدّة، وجمع كثيراً منها وأحرقه

بالنار^(٢)، وزاد انتشارها بعده، حتّى بلغ المعروف منها اثنين وخمسين كتاباً لاثنين وخمسين صحابياً، وقد بلغت كتب ابن عبّاس وحده عند مولاه كريب بن أبي مسلم حِمل بعير^(٣)، ومن رجال هذه المرحلة: سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي: وقد كتب شيئاً من حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، علماً أنّ أباه سعد بن عبادة كان يحتفظ بصحف كتبها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ له نصّ واحد في مسند أحمد^(٤) ونصّ واحد في تاريخ الطبري^(٥)، أما سهل بن أبي خيثمة الأنصاري وكانت له عناية خاصّة بالسيرة النبوية ومغازي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كان مولده سنة ٣ هـ، ووفاته في أيّام معاوية، وصل كتابه إلى حفيدة محمّد بن يحيى بن سهل، فكان إذا روى منه قال: «وجدت في كتاب آبائي». منه نصوص لدى ابن سعد والبلاذري والطبري^(٦)

المرحلة الثانية: مرحلة التدوين التاريخي الجزئي المختصّ بعد انتشار عملية التدوين توزّعت اهتمامات علماء التابعين على أكثر من واحد من أنواع العلوم، ففرغ أكثرهم لجمع الحديث بشكل عامّ، وروايته، وتخصّص بعضهم بأحاديث السنن والأحكام التي هي موضع اهتمام الفقهاء بالدرجة الأولى، فيما انصبّت عناية آخرين على ما يتّصل بالسيرة النبوية بشكل عامّ، وبالمغازي منها بشكل خاصّ، فظهرت في هذه المرحلة كتب المغازي والسيرة على مستوى واسع. فكتب عروة بن الزبير . المتوفّى سنة (٩٣) هـ . كتابه المغازي، وأبو فضالة عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري المتوفّى سنة (٩٧) هـ . كتب كتاباً صغيراً في المغازي، وأبان بن عثمان بن عفّان . المتوفّى سنة (١٠٥) هـ . كتب أيضاً في السيرة والمغازي، وعاصم بن عمرو بن قتادة الأنصاري، المتوفّى سنة ١٢٠ هـ. وشرحبيل بن سعد، المتوفّى سنة ١٢٣ هـ. ثمّ ابن شهاب الزهري . المتوفّى سنة ١٢٤ هـ . صاحب كتاب المغازي، وهو أكثر الكتب المتقدّمة أثراً، وقد حفظت أجزاء كثيرة منه في المصنّف لعبد الرزّاق الصنعاني^(٦)، وقد اتّسمت هذه الكتب جميعاً بسمة كتب الحديث، إذ اقتصرّت على إيراد الروايات الخاصّة بموضوعها . السيرة والمغازي . بأسانيدھا الكاملة.ومن هذه الأعمال أنّ الحادثة الواحدة تأتي فيها مجزأة وغير منتظمة، إذ إنّها كانت غالباً مؤلّفة من عدّة روايات قصار تتحدّث الواحدة منها عن قطعة صغيرة

أو جزئية من الحدث، لتأتي أخرى بقطعة ثانية ربّما لا تكون موصولة بالأول. هذا الطابع الذي غلب على مدونات هذه المرحلة. **المرحلة الثالثة:** مرحلة النسق والنظم بعد مرحلة جمع الأخبار، تنبّه المؤرّخون اللاحقون إلى ضرورة توحيد صورة الحد التاريخي، من أجل تقديم نسق دقيق ومتربط للأحداث، ميّز في النهاية العمل التاريخي عن العمل الحديثي، الذي يعنى بجمع الأحاديث بأسانيدھا، الأمر الذي دعا المؤرّخين إمّا إلى توحيد الأسانيد في مقدّمة الحدث المراد نقله، أو إلى إسقاط الأسانيد، الذي أخذ يظهر في المرحلة اللاحقة ، ومن أبرز مؤرّخي هذه المرحلة: عوانة بن الحكم، المتوفّى سنة (١٤٧) هـ، محمد بن إسحاق المتوفّى سنة (١٥١) هـ، ولوط بن يحيى، المتوفّى سنة ١٥٧ هـ، وأبان بن عثمان بن أحمد البجلي، المتوفّى سنة ١٧٠ هـ، وسيف بن عمر التميمي، المتوفّى سنة ١٧٠ هـ، وهشام بن محمد بن السائب الكلبى، المتوفّى سنة ٢٠٤ هـ، والهيثم بن عديّ، المتوفّى سنة ٢٠٧ هـ، ومحمد بن عمر الواقدي، المتوفّى سنة ٢٠٧ هـ. أبو عبيدة معمر بن المثنى، المتوفّى سنة ٢١١ هـ. نصر بن مزاحم، المتوفّى سنة ٢١٢ هـ. علي بن محمد المدائني، المتوفّى سنة ٢٢٥ هـ، والزيبر بن بكّار، المتوفّى سنة ٢٥٦ هـ، وابن قتيبة الدينوري، المتوفّى سنة ٢٧٦ هـ، وأحمد بن يحيى البلاذري، المتوفّى سنة ٢٧٩ هـ، وتعد اغلب هذه مصنّفات بأنّها تواريخ مرحلية، أو مقطعية، تخصّص الكتاب الواحد بأخبار مرحلة من مراحل التاريخ أو حادثة مهمّة من حوادثه، ككتب السيرة النبوية ، والمغازي، وكتب في السقيفة وحادّثها، وأخرى في الردّة، وأخرى في مقتل عثمان، ومصنّفات في حرب الجمل، وأخرى في حرب صفّين، وأخرى في النهروان، وغيرها في أخبار معاوية، وهكذا كان لبعض المؤرّخين الكثير من الكتب تناولت عشرات المقاطع التاريخية، فأبو مخنف مثلاً له أكثر من ٣٢ كتاباً، وهشام الكلبى نحو ١٥٠ كتاباً، والمدائني ٢٤٠ كتاباً، وهكذا^(٧).

المرحلة الرابعة: مرحلة توحيد التاريخ الإسلامي أو العالمي، فظهرت المدونات الكبيرة الجامعة التي استوعبت تاريخ الإسلام بأكمله بترتيب أحداثه، وربّما استوعبت أيضاً تاريخ الأنبياء والأمم السالفة ، وأشهر مؤرّخي هذه المرحلة: أبو حنيفة الدينوري، المتوفّى سنة ٢٨١ هـ. وأحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، المتوفّى نحو سنة ٢٩٢ هـ، ومحمد بن

جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠ هـ. ، والمسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ. ، ومسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ، الذي قدّم أنموذجاً جديداً في التاريخ في عمله الكبير الموسوم بـ(تجارب الأمم) ، ومما يلاحظ على ما تقدم فقد أهمل الكثير من أصحاب التصانيف في التاريخ، يتوزع رجالها على سائر الطبقات والقرون، ونخص منهم المؤرخون الشيعة؛ ويبدو أنّ نزعة طائفية عقائدية تكمن وراء هذه الظاهرة، فضلا عن دور السلطات المتعاقبة على العدا والبغض الى أهل البيت (ع) ، باستثناء فهرست النديم (الشهير بابن النديم)؛ لأنه كتاب جامع لم يختصّ بعلماء الشيعة ومصنفيهم، إذ أهملت فهرست المصنّفات الشيعية ومنها كتاب الرجال للنجاشي، والفهرست للشيخ الطوسي، ومعالم العلماء لابن شهرآشوب..ولو رجع إليها أولئك الباحثون لاتسّمت أعمالهم بالشمولية والموضوعية، ولظهرت العديد من الحقائق المغمورة والمهمشة، وهناك مؤرخون لم يدخلوا في هذا المعجم^(٨) لما اقتصر هذا المعجم على مؤرخي الشيعة ممّن له تصنيف في التاريخ، إذ أسقط من الاعتبار عدّة أصناف من أصحاب الأثر التاريخي من الشيعة، أو ممّن انتسب إلى التشيع، أو نُسب إليه، وهذه الأصناف هم أصحاب الروايات التاريخية الذين دخلت رواياتهم في مصادر التاريخ المعتمدة لكن لم تُعرف لهم مصنّفات خاصّة في التاريخ، وهم كثير، منهم حبة بن جوين العرنويه ومن أصحاب الامام عليّ (عليه السلام)، فقد شهد معه المشاهد كلّها، إذ أرخ وفاته الطبري وابن الأثير في آخر سنة (٧٦ هـ)، وله روايات تاريخية في تاريخ الطبري وتاريخ الإسلام للذهبي وغيرهما^(٩)، و أما إسماعيل بن عبد الرحمن السدي القرشي: وهو السدي الكبير، فقد عاصر الإمام الحسن (عليه السلام) وعبدالله بن عمر، وأبا سعيد الخدري وأبا هريرة، وحدث عن أنس بن مالك، وخرّج أحاديثه مسلم ، والترمذي، وأبو داود ، وقد جرحه الجوزجاني لتشيّعه، ووثّقه يحيى بن سعيد القطّان، وأحمد بن حنبل، وابن عديّ، والذهبي، توفي سنة ١٢٧ هـ^(١٠)، وهنالك مؤرخون من أصحاب المصنّفات نُسبوا إلى التشيع، وليس يخفى على أهل التحقيق أنّ التشيع عند المتقدمين من أهل الجرح والتعديل، وأهل السنّة، إنّما هو تفضيل الإمام عليّ عليه السلام على عثمان، أمّا النيل من بني أمية فهو عندهم تشدّد في التشيع. أمّا تفضيل الإمام عليّ عليه السلام على أبي

بكر وعمر فهو الرفض، حسب تعريفهم، وأمّا النّيل من أبي بكر وعمر فهو الغلوّ في الرفض، حسب هذا التعريف. وبناءً على هذا التقسيم أدخلوا الكثير من أهل العلم في التشييع لمجرد تفضيلهم الإمام عليّ عليه السلام، وقدحهم في بني أميّة، فمن الحفاظ عدّوا النسائي والحاكم في الشيعة؛ لهذا الاعتبار وحده،^(١١) وعلاوة على ما تقدم يمكن لنا الإشارة الوقائع التاريخ السياسي للإسلام والمتمثل بالخلاف بين المسلمين كالذي كان بين المهاجرين والأنصار عقب وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) حول تولي الخلافة، فضلا عن الخلاف بين عثمان وقائليه، والإحداث التي ظهرت خلال فترة خلافة الإمام علي (عليه السلام)، وحوادث الانقسام السياسي والفتنة التي أدت الى استشهاد كل من الخليفين عثمان وعلي(عليه السلام)، ثم اعتلاء معاوية الحكم، كلها كانت أسبابا في الاختلاف في العقائد بين المسلمين^(١٢)، وكذلك النزعة التي ظهرت عند بعض الفرق الإسلامية الفقهية والكلامية^(١٣)، ومسألة الإمامة والخلافة، وظهور الأحزاب السياسية، وكذلك التصادم بين مبدأ القدر أو حرية الإرادة ومسؤولية البشر في الشؤون العامة، وبين مبدأ الجبر أو قبول الأوضاع العامة السائدة بوصفها مقدرة، فقد تبنى الامويون مبدأ الجبر وبشروا به، إذأنالأحزاب المعارضة بشرت بمبدأ الحرية ومسؤولية البشر عن الأوضاع^(١٤)، إذ اضطر كل فريق أن يدعم مذهبه بالأحداث التاريخية وتشريعها، فكانت أحداثاًتكتب الحديث أبوابا وفصول في هذه المسائل التاريخية^(١٥)، إذ يمكن أن نعد مجمل تلك الوقائع في التاريخ السياسي الإسلامي، لها الأثر الواضح في عملية التدوين، ونخص منها القرون الثلاثة الأولى حصرا؛ وذلك لقوة الدولة (الأموية والعباسية)وسلطانها من جانب، وقوة الخلافات السياسية والعقائدية بين السلطة ومعارضيتها من جانب آخر.

المبحث الاول :

مواقف الزهراء(ع)بيناليسوعيلامنسوالجمل :

أولاً :اليسوعيلامنس:تؤكد الدراسات التاريخية أن هنري لامنس (ت. ١٩٣٧ Henri [Lammens])، راهب يسوعي بلجيكي، التحق مبكراً بالكلية اليسوعية ببيروت، ثم أصبح بها مدرساً... فأمضى جلّ حياته بلبنان إلى أن توفي، وقد كان ناشطاً في مجال التبشير، فأشرف على مجلة المشرق بعد لويس شيخو، وقد كتب في هذه المجلة مقالاتٍ عدّة ذات مقاصد تبشيرية دينية (كانت تُترجم عن الفرنسية). وللامنس كتب كثيرة تتعلق بنشأة الإسلام والخلافة الأموية، سنهت منها بكتابين في السيرة النبوية هما: فاطمة وبنات محمّد، مقدمات نقدية لدراسة السيرة (١٩١٢) وكتاب: الإسلام، عقائده ونُظمه (١٩٢٦)^(١٧) ، وقد تأثر لامنس بمؤلفات المستشرق الإيطالي ليوني كايثاني (LéoneCaetani)، صاحب حوليات الإسلام (١٩٠٥-١٩٠٧) في نقده للوثائق الإسلامية المتأخرة، لكنّه تجاوزه في أطراح المرويات المتعلقة بالعهد المكي (ما عدا القرآن)، وأجحف في نقد الأخبار الإسلامية عن السيرة، فلم ير فيها سوى ركام من الروايات الدائرة بتأويل الإشارات القرآنية إلى حياة النبي، ركام من "غريب" الأخبار التمجيدية أثر فيها التراث المسيحي واليهودي، وخضعت لهوى العصبية الحاكمة.... ولعلّ هذا الإجحاف هو الذي جعل مستشرقين مُنصفين من أمثال (منتغمري واط) يعد نقد لامنس التاريخي "متطرفاً"، إذ أنلامنس لم يطلب التّاريخ لذاته في دراسته لسيرة النبي محمّد (ص)، بل مزج بحثه بمقاصد تبشيرية حاقة صريحة وخفية ، ظاهرة ومرموزة، ولم يكن نقده سوى تفنيدٍ وتشكيكٍ للمرويات التمجيدية عن رسول الإسلام (ص) ، وهكذا يُمكن عدّ لامنس نموذجاً سيئاً للاستشراق الكلاسيكي، وأغلب الظنّ أنّ المنزع الديني التبشيري هو الذي جعل أساطين المُستشرقين يnehجون منهج لامنس في نقد الوثائق الإسلامية المتأخرة بـ"التطرف"، وتزداد حُجبة نقد الغربيين لنقد لامنس، إذا صدر عن علماء راسخين في المعرفة بتراث الإسلام من أمثال ثيودور نولدكه (Th. Nöldeke)صاحب تاريخ القرآن، وشفالي (Friedrich Schwally) الذي عدّ كتاب نولدكه، وقد قال فيه: «يسلك الباحث الناشئ هنري لامنس (Henri Lammens)

أكثر المسالك تطرفاً في هذا الميدان [نقد الروايات]. وهو يتبع مثل كتابي وغولدتسيهر^(١٨). وهذه المآخذ برمتها قدعابها ماكسيمونتغمري واط على لامنس، ولا تختلف مآخذ الكتاب العرب على لامنس كثيراً عن مآخذ الكتاب الغربيين، إذ يفيدها عبد الرحمان بدوي في قوله: «مُستشرق بلجيكي، وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، ويُعدُّ نموذجاً سيئاً جداً للباحثين في الإسلام من بين المُستشرقين»^(١٩). ولهذا التفت كثير من كتاب السيرة العرب المُحدثين إلى مُساجلة لامنس في مسائل كثيرة، والرد على نُهمه لنبي الإسلام، وقد ذكر محمد حُسين هيكل لامنس في غير موضع، وتصدى لتفنيد ما عدّه تشنيعاً على النبي محمد (ص) والإسلام، إذ أنّ لامنس ينتهج ضرباً من الشكّ "انتقائياً" في التعامل مع مصادر السيرة النبوية، وبخاصّة المصادر العربية القديمة، وسنحاول أن نبين هذه الطريقة من خلال نماذج "سيرية" وردت في الكتابين متفرقةً، وقد رأينا أن ننظر فيها مرتبةً حسب النسق التقليدي للسيرة النبوية، إذ سعى لامنس إلى تصديق أخبار السيرة التي تغضُّ من الصورة المثالية لمحمد وآل بيته (عليهم الصلاة والسلام) في المصادر العربية القديمة، إذ يذهب لامنس إلى أنّ أبوي عليّ بن أبي طالب لم يُسلما وانهما ماتا على غير الاسلام؛ ولئن تُؤكد مصادر عربية مُتقدّمة كابن هشام جانباً من هذه المسألة^(٢٠) فإنّ انتصار أصحابها "للسنة" غير خافٍ، إذ تُثبت الشيعة إسلام أبي طالب (رض)، وقد حرّر الشيخ المفيد (٤١٣ هـ) رسالة في إيمان أبي طالب، وتعد مؤرخي التشيع إنّ عائلة علي (ع) أسلمت كلّها منذ بداية الدعوة الإسلامية، وفيها فاطمة بنت أسد زوج أبي طالب^(٢١)، وقد وجّه لامنس الانتقاء في كتاب فاطمة وجهة تخدّم تعصّبه على الرسول وآل بيته، إذ يقبل رواية زواج الرسول من خديجة وهي شيخة من دون نقدٍ في مؤلّف وسمه بعنوان فرعي (ملاحظات نقدية لكتابة السيرة)، وقد ذكرت بعض مصادر السيرة المُعتمدة كالمُحبر أنّ سنّ خديجة لما تزوّجها الرسول كان ثمانين وعشرين سنة في إحدى الروايات^(٢٢). ويثبت هشام جعيط أنّ رقم الأربعين رقمٌ سحري لدى الشعوب السامية، ويطرح سؤالاً وجيهاً: كيف تُتجب خديجة بناتٍ وبنينَ عديدين وهي شيخة^(٢٤)، ولم يرَ المسلمون في ذلك معجزة، إنّ اختيار لامنس لرواية زواج خديجة في سنّ مُتقدّمة لم يكن بريئاً، إذ أراد أن يُثبت من

ذلك أنّ النبي محمداً "أبتر" ، ويحتجّ بؤرود هذه الصفة في القرآن الكريم (إنّ شأنك هو الأبتّر [الكوثر: ٣]). ويرى لامنس أنّ السيرة اختلقت بأخرة أبناء ذكورا لمحمد (الطاهر والطيب وإبراهيم...) لتزد على قذف "الشائنين"، وضاعفت عدد بناته للغرض نفسه. وهذا شكّ لم ثمله إلا رغبة في التشنيع على الرسول، وقد انتقد البحث التاريخي الغربي بعد لامنس الإجحاف في الشكّ، إذ يرى واط (١٩٥٣) أنّ الشك في الأخبار يجب أن يستند إلى وجود تليفيق "مغرض"، أو تناقض داخلي بين الروايات^(٢٥) وسبق (لواط) أن ساق ملاحظة (نولدكه) حول أعمال اليسوعيلامنس التي تتسم بالإسراف في هذا الشك^(٢٦)، وعلى هذا النحو ينتهج لامنس سبل الشكّ "العصبي" غير العلمي والأكاديمي ، فينتقد سيرة فاطمة "الضخمة"، ويذهب إلى أنّها مُختلقة في معظمها^(٢٧)، لكن الأمر لا يقف عند هذا الحدّ من الشكّ، بل يصنع لامنس من خلال الروايات القديمة وتأويلها سيرة قاتمة لفاطمة (ع) ، سنفحص عن أمرها في ما يأتي... فقضية الشك ليست منهجية علمية لديه، بل جدلية دينية، إذ اختلق المُجادلون المسيحيون قصة أخرى لسيرة النبي محمد (ص) لأغراض تشنيعية وتبشيرية مغرضة ، وقد نبّه الباحث الإنكليزي ن. دانيال بوضوح إلى هذه المسألة^(٢٨) ،فضلا عما تقدم أنلامنس كان يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها، إذ يعدّ نموذجاً سيئاً جداً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين ، وأبشع ما فعله خصوصاً في كتابه: «فاطمة وبنات محمد» إذ كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحات غير صحيحة، فكان إما أن يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقاً في هذه الكتب، أو يفهم النص فهماً ملتويّاً خبيثاً، أو يستخرج إلزّامات بتعسف شديد يدل على فساد الذهن ، وخبث النية ، ولهذا ينبغي ألا يعتمد القارئ على إشارته إلى مراجع، فإن معظمها تمويه وكذب وتعسف في فهم النصوص، فلا يعرف باحثاً من بين المستشرقين المحدثين قد بلغ هذه المرتبة من التزليل وفساد النية، وكذلك يتضح عند الميلانياً أنلامنس أصحاباً لأقلاماً المدسوسة، المليئة حقداً وغيظاً علناً لإسلام موقيمه، ومنحمرات التبشير، ودعاة الصهيد ونية^(٢٩)، وقد قابل لامنس هذه التشويهات والتحريفات في حق النبي واهل بيته (عليهم السلام) ، الدفاع عن بني أمية من خلال إيجاد الأعداء والمسوغات لأفعالهم الشنيعة

بحق أهل بيته (عليهم السلام) , إذ يتضح ذلك جليا في كتاباته حول الدولة الأموية، فقد كتب لامنس ستة كتب هي: (دراسات عن معاوية الأول) و (خلافة يزيد) و (زيد بن أبيه) و (معاوية الثاني) و (دراسات عن عصر الامويين) و(خلافة مروان الاول), وفيها بالغ في تمجيد الأمويين بدافع الحقد على الاسلام والمسلمين ، فضلا عن بتبرير جرائم الأمويين عامة ويزيد خاصة ؛ من خلال قلب وتغيير الحقائق وتزويرها، و نشف مما تقدم أن اليسوعي البلجيكي(لامنس) قد استخدم كل الوسائل والليات الاجرائية الكفيلة بالتحريف ، والتزوير، والتشويه،للسيرة العطرة للرسول الاكرم (ص) واهل بيته (ع), لاسيما فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وهي موضوع بحثنا ,

ثانيا :بسام الجمل : باحث وكاتب تونسي حاصل على الدكتوراه في الآداب واللغة العربية، جامعة منوبة ، يشغل منصب أستاذا مساعدا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس, له مجموعة من الأعمال المنشورة من بينها: كتاب "أسباب النزول" الذي صدر عن المركز الثقافي العربي بشراكة مع مؤسسة مؤمنون بلا حدود في طبعته الثانية ٢٠١٣. وكتاب "الإسلام السنّي" الذي صدر عن دار الطليعة ورابطة العقلايين العرب، بيروت، ٢٠٠٦، وكتاب ليلة القدر في المتخيل الإسلامي، ويشرف (الجمل) على التحكيم العلمي لبحوث قسم الموروث الديني بمؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث, وله كتاب يخص بحثنا وهو (جدل التاريخ والمتخيل سيرة فاطمة)

إذ اتكأ بسام الجمل في العديد من آرائه وأطروحاته حول سيرة الزهراء سلام الله عليها في كتابه على المستشرق التبشيري (لامنس) , إذ كان الجمل محاكيا له في كل اشكالياته التي قدمها عن الزهراء (ع) , التي تشير بشكل واعي ودال على تهكمه من شخصيتها (ع) , فضلا عن شخصية النبي محمد (ص) وأهل بيته (ع), فقد كانت أطروحته منحصرة في علاقة الزهراء (ع) العائلية مع زوجها علي (ع) وسوء خلقها معه , فضلا عن سوء معاملة زوجها علي (ع) لها والعياذ بالله , إذ وصفها بالعلاقة المرتبكة غير القارة , وكذلك إشارته إلتأخر زواجها وامتناع شباب قريش عن التقدم لخطبتها , بالرغم من كونها ابنة رسول الله (ص)؛ إذ يعزوا ذلك لعدم اتصافها بالنظارة والجمال , فضلا عن أنها كانت فقيرة منهكة القوى مريضة معلولة من شدة الفقر

والجوع ؛وذلك بسبب زواجها من ابن عمها الفقير علي (ع) وبإخس مهر مقارنة ببنات قريش ، وإنها لم تقدم للإسلام أي منفعة تذكر (كما يدعي)،ومن جانب آخر يرى الجمال أنقسم أمهمًا من طفولة فاطمة قضت أباؤها على أدياناً جدادهما ، إذ يرى الجمال أن خديجة (ع) على دين النصرانية، مثلاً بنعمها ورقة بن نوفل^(٣١) ، ويؤكد ذلك من خلال خطاب الوحي النالرسولمذكر إياها بقول { **وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ** }^(٣٢)، إذ أن المراد بالضلال عدم الهداية بكونه صلى الله عليه وآله وسلم ضالاً حاله في نفسه مع قطع النظر عن هدايته تعالى ، فلا هدى له صلى الله عليه وآله وسلم ولا لأحد من الخلق إلا بالله سبحانه ، فقد كانت نفسه في نفسها ضالة وإن كانت الهداية الإلهية ملازمة لها منذ وجدت فالآية في معنى قوله تعالى: (**ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**)^(٣٣)، ومن هذا الباب قول موسى على ما حكى الله عنه: " **فعلتها إذا وأنا من الضالين** " أي لم أهدى الرسالة بعد، ويقرب منه ما قيل: إن المراد بالضلال الذهاب من العلم كما في قوله: (**أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى**)، ويؤيده قوله: (**وإن كنت من قبله لمن الغافلين**)^(٣٤) 'وقيل المعنى وجدك ضالاً بين الناس لا يعرفون حقك فهداهم إليك ودلهم عليك'^(٣٥) إذ أن هذا التفسير يؤكد عدم صحة تفسير الجمل للضلالة ، أما ما يتعلق بمكانتها ومقاماتها فان حادثة المباهلة خير دليل على دحض اطروحتة ، إذ أن دعوة المباهلة كانت من الله تعالى بقوله : **«فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ»** ، فقد وفد الرسول (ص) و ليس معه إلا أهل بيته و هم أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي وهو بمنزلة نفسه ، و ابنته فاطمة ، و ابنه الحسن و الحسين عليهم السلام، وأما اية التطهير فقد جاءت وبشكل صريح لتؤكد المكانة الهامة والمنزلة الرفيعة التي ارادها الله لهم (عليهم السلام) إذ يقول تعالى : (**... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**)^(٣٦) ، إذ اجمعت كل الروايات أن المقصود هم علي وفاطمة وابناهما (عليهم السلام) ، ومن الوجهة التاريخية لحيثية النزول وسياقه تؤكد ذلك ايضاً ، ولا بد من الاشارة الى هذه المغالطات التي حاول الجمل أن يثيرها ، ماهي الا لزعة ثقة العقل والوجدان الجمعي الاسلامي حول سيدة نساء العالمين ، ويبدو أن هذه

الاطروحة قد اسس لها لامنس ؛ ليزيح سمة تسيد الزهراء لنساء العالمين ، وهي الصفة التبجيلية التي يجب أن تتصف بها السيدة مريم العذراء(ع) بمفردها بالمنصوراليسوعي، والذي يتفق معها في اغلب احيانا البعض من انصار مدرسة الصحابة ، إذ يتضح لنا ذلك جليا من خلال طرح الجمل للمكانة التاريخية لفاطمة (ع) وفق متبنياته وضروراته الأيديولوجية ، كذلك أن إطار تلك المكانة المتواضعة التي رسمها الجمل عن فاطمة (ع) من خلال الواقع التاريخي المنحصر بين القرون الثلاثة كما يدعي ، ما هي إلا آليات إجرائية أراد منها الجمل الدفاع عن الأخطاء الجسيمة التي اقترفتها الخلافة في حق فاطمة (ع) ، إذ يتضح ذاك من خلال خلط الأوراق وقلب الحقائق عما جرى في حادثة فدك ، إذ تشيرالدلائلتاريخية(كما يدعي الجمل)إلأنعمرعنففاطمةبنفسه

،أوبإيعازمنحسبرواياتأخرى،حينماأمرقنفدامولأبييكرضربهابالسوط،وذلكلأسبابالآتيةجميعهاوأبعضها،علناختلافالروايات،امتناعهاعنمبايعهأبييكرخليفةلمسلميناذأورد هذا الخبرمن تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٢٦ وعند مراجعتنا للخبر لم نجده في المصدر على الاطلاق ، وهو اسلوب مماثل للاسس التي اتكأ عليها لامنس في سيرة فاطمة (ع) كما اسلفنا، إذ حاول الجمل أن يحرف الحقائق ويخلط الاوراق لدى ذهن المتلقي لتكون الحقيقة مبهمة ومعتمة أمامه ، ويبدو أن هذه الأساليب هي مطابقة لمقتضيات ضروراته الإيديولوجية ، أما التعليل الاخر لتعنيفها من قبل عمر وذلك لرفضها تسليم الكتابالذي دفعهاإليهاأبوبكروالقاضييمنحهافدك^(٣٧)، إذ حاول الجمل تظليل المتلقي حول أمر الكتاب ليصنع عذرا لسبب ضربها (ع) من قبل عمر ، فقدشتت ذهن المتلقي بتوجيهه نحو رفض فاطمة (ع) تسليم الكتاب لعمر ، ومن وجهة اخرى أراد الجمل التشكيك في العديد من أجزاء هذه الحادثة ومنها قوله وقدوصلالأمريعمرإلأنهدفاطمةبأحراقبيتهابمنفيه،ونفذتهديده،أوكد،بحسباختلاف الروايات ها هنا وكذلك يقول

تتجمعالرواياتالشيعةعلأنفاطمةتقتضربهبالسيففيجنبها،وفيعضدها،ماتسببإلهافيبعضالكسور،وفيسقوطجنينهاالمقدّرلهمنالأسماءمحسنا. ^(٣٨)ومرةأخرى،ردتفاطمة فكشفت شعرها ، إذ

أراد أن يشكك في تنفيذ تهديد عمر (او كاد) , ومن وجهة اخرى حاول أن يزعم ذهن المتلقي ؛ بايجاد رواية مختلفة تؤكد طعن الزهراء (ع) بالسيف في جنبها دون الاشارة الى فاعلها , ثم جعل الاشارة للهامش ^(٣٨) في اخر الرواية , وعند مراجعتنا للمصدر تبين أنه يشير الى المحسن ابنها فقط ,ونقول هنا معظم الروايات الشيعية ترى أن عمرا عصرها بعدما لاذت خلف الباب واسقط جنينها ,إذ يؤكد ذلك عمر برسالته الى معاوية (فركلت الباب، وقد أُلصقت أحشائها بالباب تترسه , وسمعتها وقد صرخت صرخة حسبتها قد جعلت أعلى المدينة أسفلها وقالت: "يا أبتاه يا رسول الله)"^(٣٩) , أما فيما يخص علاقتها الزوجية فقد سار الجمل على المنهجية نفسها التي تتبعها لامنس , إذ أوجد مرويات عدّة تدخل في حدود هذا الموقف , وسنوضح تداعياتها من خلال خطبتها (ع) التي وردة من ابن طيفور المتوفي ^(٢٨٠) وهو ضمن الفترة التي اتسمت بالواقع التاريخي لا المتخيل كما يرى الجمل من أن القرون الثلاثة الاولى هي تمثل الواقع التاريخي , واما الحقب التي تلتها فقد كان للمتخيل الاثر البالغ في سيرة الزهراء (ع) (كما يدعي) , ونحاول أن نرد على ماجاء به الجمل من خلال خطبتها (ع) إذ تقول :. " تجدوه أبي دون آباءكم وأخا ابن عمي دون رجالكم... كلما حشوا ناراً للحرب أطفالها ونجم قرن للضلال وفغرت فاعرة من المشركين قذف بأخيه في لهواتها فلا ينكفى حتى يظأ صمتها باخصة ويخمد لهبها بحده مكدوداً في ذات الله قريباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم يداً في أولياء الله وأنتم في بلهنية وادعون آمنون حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه ظهرت خلة النفاق وسمل جلباب الدين"^(٤٠) , فلايخفى على الناقد البصير كلماتها في حق زوجها وابن عمها علي (ع) , والصفات البليغة التي وصفته (فلا ينكفى حتى يظأ صمتها باخمصهويخمد بحده مكدودا في ذات الله) ,وهذه التوصيفات التي اوجدتها الزهراء ماهي الا تاشير دال على التاثر العميق في مكنون سماته , فضلا عن إيثاره وذويانه في ذات الله , فهل من المعقول أن تتبع هذه التوصيفات من احضان علاقة اجتماعية غير قارة او مرتبكة , يعزوها الجمل الى الجوع والفقر والحرمان , ام أن هذه الصورة تدل على الارتباط الايماني العميق بينهما , وانهما يمثلان الانموذج الامثل للارتباط العائلي فضلا عن الارتباط الجيني

والنسبي بينهما (عليهم السلام) , وخير دليل على ذلك تلك العائلة المتمثلة بالحسين وزينب وام كلثوم (عليهم السلام) الذين شهد لهم الواقع التاريخي بالسمو والرفعة من قبل القدامى والمحدثين ومن الاعداء والمناصرين , وعلاوة على ذلك فإن هذا النموذج البسيط من خطابها (ع) يدل على عدم مصداقية ادعاء الجمل ومن قبله اليسوعيلامس , ومن وجهة اخرى فقد ذكر الجمل أمرا يؤكد ارتباطك العلاقة الزوجية لهما (ع) , وفيه يقولفإنمميزحياتفاطمة

فيهذا المرحلة، هو ما كانت تعانيه من فقر وخصاصة وجوع، وما تولد، جزاء ذلك، منتوتّر علاقتها بعلي، إلى حدّ حصول انفرتبينهما وانقطاع حبلا لوصال العاطفي، وإن استمرّ عقد الزواج بينهما قائماً . وإذا كان هذا حالفاطمة، وهيفيرعاية أبيها وحمايته، فكيف سيكون أمرها بعد وفاته؟ وهنا نقول على أي شيء اعتمد الجمل في رايه هذا وما هي الادلة على ذلك؟، وأما في قوله فكيف سيكون امرها بعد ابئها , فقد اجاب عمر بن الخطاب على ذلك في تلك الرسالة التي اشرنا اليها سلفنا , والتي تدل على الاطاحة بشابة في اول ريعان شبابها لتلتحق بالرفيق الاعلى سبابة للحاق بابئها , قتلتها قرارات الخلافة وظلمها , لتكون أول من ظلم بعد وفاة الرسول (ص) , وقد أشار الجمل الى ما وقع عليها من الشيخين لكن من وجهة اخرى , كان القصد منها إظهار سيرتها الباهتة إذ يقول " وتواصل سوء معاملتها، بعد وفاة أبيها، منأبيكرو عمر، فلمتجد، فيظللها، أيّة حظوة، فكانمصيرها التهميشمنهما ومنسواهما منأصحابالنبي", إذ اراد توجيه المتلقي نحو تهميش الشيخين ومن سواهما من الصحابة ؛ لكي لا يكون لها دورا يذكر أو أثرا باثنا في الموروث الحضاري الاسلامي على الاطلاق , ليقرّ عيون الدعوات التبشيرية بشكل عام وضرورياته العقدية بشكل خاص , وأما الادعاء بطلب الامام علي (ع) بالزواج من ابنة ابي جهل فقد أورد هذه المروية عنأبي الفرجابن الجوزي المعروف بالتعصب ضد أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم ؛ وكونه حنبلياً متعصباً , اذ تراه يضعف فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) الصحيحة الثابتة , بل والحكم عليها بالوضع في كتابه (الموضوعات) , كما هو معلوم للجميعاذ وضع خبرا عن تلك الخطوبة من خلال كلام الامام علي (ع) للرسول حول احدى الهدايا قال :فقسّمتهابيينسائي^(٤١), إذ بنى الجمل على هذه المفردة

(نسائي) على انه متزوج باكثر من امراة , بينما هذه المفردة تحتل على معان عدة , لايمكن أن نختزلها في معنى واحد فقط , ومن وجهة اخرى حاول الجملصدم افق انتظار المتلقي اذ يصور زواج الامام علي (ع) وفي الان ذاته يقول ان النبي (ص) رفض ذلك ولم يتم الزواج , وكذلك نجد الجمل يعتمد على ابن شاهين في فضائل سيدة النساء إذ أورد مروية عن علاقة الزهراء (ع) الزوجية والتي وصفها بالمرتبكة كما أشرنا في الهامش^(٣٧) إذ لم نجد لهذا الخبر في هذه الصفحة او الصفحات التي تليها , والذي

فيه "عنا منها البنعمروأنهكانيبينأبيطالبوبينفاطمةكلام،وأتهجرها،فخرجمنبيتها،فأتالمسجد ،فنامفياالتراب" , إذ يعد ذلك تشويها للحقيقة وتزييفا , وهو الاسلوب نفسه الذي اتخذه لامنس كما اسلفنا , ومن الجدير بالذكر أن الجمل قد بان عليه التناقض في مسألة أن القرون الاولى تمثل الواقع التاريخي لسيرة فاطمة (ع) , الا أنه قد اتكأ على العديد من المصادر التي جاءت بعد تلك الحقبة الزمنية ومنهم (الطبراني , المجلسي , المناوي , الطبرسي ,ابن الجوزي , ابن عبد ربه ...) , وهذا ما يخالف اطروحته ومقتضياتها المنحازة كما يدعي , لكنه يحاول أن يجد اسبابا لذلك , إذ يرى .
الذيأخذتهترجمةفاطمةفيالمصادرالشيعة،منذالقرنالخامسللهجرة .

ومضمونهاكتساوعددمنالعناصرغيرالتاريخيةتلكالترجمة ،
وتتاميحضورهاومداها،كلماتأخرنافيالزمان،حتنأصبحتالموادالتاريخية،فيتلكالترجمة ،
ضامرَجَدًا،مقارنةبالحضورالمكتفوالواسعللموادالمنتمةإللدائرةالمتخيلاالديني^(٤٢) , فلا يخفى على الناقد البصير أن هذا الطرح ينم عن اسقاطات طائفية مليئة بالسجلات المذهبية مبتعدة كل البعد عن المنهج الاكاديمي والبحثي , فضلا أن المؤسسة التي يقوم عليها والتي تنتشر له هي أيضا تدعم متبنياته وتدافع عنها , بالرغم انها تدعي الحيادية وعدم الانحياز , إذ يتضح من خلال متابعة الندوة التي اقامتها (مؤمنون بلا حدود)للدفاع عن تلك الاطروحة التي قدمها الجمل في كتابه , والسعي الى الاشارة اليها في المنتديات الاكاديمية ,

المبحث الثاني : فاطمة (ع) بين الاخر المختلف والمنتمي

لوهما، لا كما كانت سيرة الشخصية في التاريخ، غير أنّ الحديث عن المبررات
يمتأخوطة وأولت مهّد للخوض فيها همّ الطرق الموظفة في تحقيق الانتقال المذكور^(٤٦)، إلاّ إنّ يرى أنّ عملية
التدوين هي التي لها الحض الأوفر في التأثير على الواقع التاريخي لسيرة فاطمة (ع)
، فكما هو معروف أنّ التاريخ دون بأقلام السلطة (الأموية والعباسية) ومريديها ،
فضلا عن انتماء المدون الثقافي والإيديولوجي، وعلاوة على ذلك فقد كانت قوة السلطة
وتفردها لها الأثر الواضح في سرد الواقع التاريخي ، بما يقابلها من منع وانحسار عند
الأخر (الشيعية) ، إذ كان التضييق والتسلط والتهميش له أثره البالغ على عملية التدوين
في تلك الحقبة الزمنية التي يصفها الجمل بالواقع التاريخي لسيرة السيدة فاطمة (ع) ،
وخير مثال على ذلك في تدوين أعظم حدث مأساوي وقع على الإمام الحسين بن علي
(ع) وأهل بيته في كربلاء عام (٦٠)هـ لكنه لم يدون الا من الطبري (٣١٠) أي بعد
٢٥٠ سنة تقريبا^(٤٧)، ونشف مما تقدم أنّ السلطة كانت مضيقه على أهل البيت (ع)
والتضليل في الكشف عن فضائلهم ومكانتهم ومقاماتهم في الأمة الإسلامية ، فضلا
عن تعرضهم وأنصارهم وأشياءهم الى القتل والتكيل والتشريد والتهجير ألقسري، إذ كانت
السلطة الحاكمة تسعى للتعتيم والتضليل والإيهام وخط الأوراق وقلب الحقائق ، فضلا
عن منع تداول سيرتهم وأخباره ، أما الموروث التاريخي الإسلامي فقد كتب
باقلام أجورة متمكسبة متملقة للسلطة وطغيانها ، وقد أغفل الجمل عن دور السلطة وأثرها
في قلب وتحويل الحقائق او التغيير والتحريف والتزييف والمنع، وقد اشرنا الى ذلك في
التمهيد من خلال غياب كتاب التشيع في المصادر التاريخية^(٤٨)، لذا انحسرت اخبار
السيدة فاطمة الزهراء (ع) في الحقبة الاولى وتلاشت، لتكون سيرتها باهتة ضعيفة
مهمشة كما يصفها الجمل ، أما في الحقبة الاخرى فقد كانت سيرتها مبثوثة في
مصادر كلا الفريقين ومنشرة ، وذلك لاسباب عدة منها ضعف السلطة وتضليلها الى
دويلات ، وهذا الضعف نجم عنه افساح المجال الى المدون التاريخي والفكري في
التعرض الى سيرتها (ع) ، فضلا عن سيرة اهل البيت (ع) ، وكذلك اتساع اطار
الحريات الفكرية والعقدية من خلال انتشار المذاهب والمدارس الفكرية والعقائدية ،
مقارنة بالحقبة الزمنية الاولى ، إذ تعرض فيها المدون الشيعي الى شتى انواع

الاضطهاد والتعسف , حتى أصبح أنصار مدرسة أهل البيت روافضا مكذوبين لا يؤخذ عنهم أي حديث أو مروية أو خبر ؛ وذلك لوسمهم بالكذب والوضع والتحريف والتزييف , وهي من الأساليب التي اتبعتها السلطة وأقلامها , فقد كان خطاب السلطة مكرساً لشحن المتخيل الجمعي بالصورة المضادة والمغايرة للحقيقة والواقع، والذي ارتهن بقاموس لفظي كان للوهم والمتخيل أثراً حاسماً ، فالوعي الضدي بالآخر والادراك القوي للمنافسة وما يفترضه ذلك من الاحتفاظ بالوجود والهوية لدى الآخر، والشعور والإيمان بضرورة القيام بردة الفعل هذه^(٤٩) ، من خلال ما سار عليه الآخر وأنتهجه في عملية التشويه والتحريف والمغالطة والتي عدت سمة أتصفت به ماكنته الإعلامية، ويتضح مما سبق أن التباين الثقافي للمدون القائم على الأسس العقديّة والقبلية له الأثر الواضح في رسم الصور المتباينة التي أخذت بالسيرة التاريخية المقدسة والتي أبعدتها عن الواقع الحقيقي بوصفه سيرةً تمثلت بسيرة والدها الرسول الأعظم (ص)

الخاتمة :

يعد البعض أن التاثر بالحدائثة وما يتبناه الفكر الغربي قديماً وحديثاً , نوع من الارتقاء والتطور والتحرر من الأفكار المتدنية , وعلى هذا الأساس سادت معظم منشورات البعض من المؤسسات الفكرية والأدبية والسياسية العربية محاكية الفكر الغربي , وكانت مؤسسة مؤمنون بلا حدود احداها , إذ تمثل هذا التوجه فيما جاء بكتاب (جدل التاريخ والمتخيل سيرة فاطمة) , الذي نلاحظ فيه التاثر بالفكر الغربي فيما حمله من متبنيات يخالف فيها الكثير مما جاء به الفكر العربي الإسلامي , وقد حقق ذلك بسام الجمل في تعرضه لسيرة سيده نساء العالمين فاطمة الزهراء سلام الله عليها , إذ كرس كل ما جاء به اليسوعيان من احقاد على النبي محمد (ص) واهل بيته (ع) , فالتعرض الى سيرة الزهراء (ع) بهذه الطريقة غير المحموده , والتي اتسمت بالتشويه والتحريف والتزييف والدس وقلب الحقيقة والواقع ليكون متخيلاً رسمته اقلام التشيع , ما هو الا تزييف للواقع التاريخي , إذ أن الجمل أغفل أهم مسألة في عملية التدوين وهي تسيد

السلطة على المؤرخ الاسلامي بالسيف والمال , ليرسم الواقع التاريخي وفق اطار سياسة السلطة الحاكمة , وخاصة القرون الثلاثة الاولى التي يعدها الجمل تمثل الواقع التاريخي , والتي نرى أنها تمثل الصورة المتخيلة التي رسمتها السلطة بأقلامها المأجورة , أما الحقبة الزمنية (بدا من القرن الرابع) التي وسمها الجمل بانها تمثل الصورة المتخيلة التي رسمها المدون الشيعي بشكل اكثر , ما هي الا دعوات محرفة اريد منها تحجيم الدور الفاعل الذي حققته مدرسة اهل البيت (ع) , في انصاع حقيقة الواقع التاريخي الاسلامي للعالم , من خلال السيرة الحقبة لاهل البيت (ع) ودورهم المركزي في الاسلام , بعدما كانوا مهمشين في الواقع التاريخي الذي يشير اليها الجمل من خلال الصورة المتخيلة النابعة وفقا لضروراته الإيديولوجية .

الهوامش :

- (١)المائدة :١٣
- (٢) تذكرة الحقاظ . للذهبي . ١٠٣|١ .
- (٣)المصدر نفسه.
- (٤)مسند أحمد ٢٢٢|٥ .
- (٥) تاريخ الطبري ١١١٠|٥
- (٦) انظر: التاريخ العربي والمؤرخون , شاكر مصطفى . ١٥١|١ .
- (٦) المصدر نفسه .
- (٧) معجم مؤرخي الشيعة ,صائب عبد الحميد , (ص١١٩-٢٢٥))
- (٨)المصدر نفسه.
- (٩) تاريخ الطبري والكمال في التاريخ: في آخر أحداث سنة ٧٦ هـ .
- (١٠) تاريخ الطبري ٣٨|٥ , الإصابة ٣٧٢|١ , تهذيب الكمال ٣٥١|٥ .
- (١١)تهذيب الكمال ١٣٢|٣ , ميزان الاعتدال ٢٣٦|١ .
- (١٢) انظر , معجم مؤرخي الشيعة ,صائب عبد الحميد , (ص١١٩-٢٢٥) .
- (١٣) نصار, حسين, نشأة التدوين التاريخي عند العرب, ص٩؛ الجمل, التاريخ عند العرب, ص١١٧ .
- (١٤)امين , احمد , ضحى الاسلام , ج٢ , ص٣٤٠ ; حاطوم , المدخل الى التاريخ , ص١٨٠ .

- (١٥) الخالدي، طريف، دراسات في تاريخ الفكر العربي، ص٣٨.
- (١٦) الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ص١٣٢.
- Henri Lammens, Fâtima et les filles de Mahomet, notes critique(١٧)
pour l'étude de la sîra (Roma: Pontif. InstitutumBiblic1912)(١٨)
- (٢٠) تاريخ القرآن , نولدكه , الطبعة الاولى . ص٢٣٢
- (٢١) بدوي، موسوعة المُستشرقين، مرجع سابق، ص ٥٠٣.
- (٢٢) راجع: محمد حسين هيكل، حياة محمّد، مرجع سابق، ص ٣٨-٣٩، ٣٣٦...
(٢٣) ابن هشام، السيرة النبوية، تح. مصطفى السقا وآخرين، ط ١ (السعودية: دار المُعني، ١٩٩٩)، ص٤٢٠-٤٢١. ص٤٢١.
- (٢٤) هاشم معروف الحسني، سيرة المصطفى "نظرة جديدة" (بيروت: دار التعارف، ١٩٩٦)، ص٤٤٩ =
- (٢٥) ابن حبيب، المحبّر، تحقيق شنتير (بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، [د.ت.])، ص ٧٩ = ، سُبُل الهدى والرّشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الشامي، تحقيق الشّيخ عبد المعز عبد الحميد الجَزَّار (القاهرة: لجنة إحياء التراث العربي، ١٩٩٥)، ج١١، ص٤٤٢.
- (٢٦) هشام جعيط، الوحي والقرآن والنبوة، ط ٢ (بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٠)، ص ١١٥، الهامش ٢٠ (٢٧). (London: Oxford (1968), Introduction, M. Watt, Muhammad at Mecca (London: Oxford University Press xiv.]- Ibid., xiii = «Lammen's more extreme views».
- : (٢٩) Lammens, Fâtima, p. 139= «la biographietouffue de Fâtima composition hétérogène d'éléments pour l'immense majorité apocryphes et fréquemment contradictoires».
- Daniel, Islam and The west, op. cit., p. 273= «The creation of a . (٣٠)
legend of his life was an important part of anti-Islamic polemic, and of the Christian approach to Islam».
- (٣١) جدل التاريخ والمتخيل , بسام الجمل
- (٣٢) الضحى :٧.
- (٣٣) يوسف: ٢٠.
- (٣٤) الميزان , الطباطبائي, ج٢٠, ٣١٠
- (٣٥) الاحزاب :٣٣.

- (٣٦) جدل التاريخ والمتخيل , بسام الجمل , ٢٠
- (٣٧) ابنشاهين، فضائلسيّدةالنساء، ص11
- (٣٨) ابنشاهين، فضائلسيّدةالنساء، ص11)
- (٣٩) في بحار الأنوار / ٣٠ / ٢٨٨ - ٢٩٩ ط بيروت / دار الرضا (ع) / تح عبد الزهراء العلوي
- (٤٠) بلاغات النساء , الطاهر بن طيفور , ج١ من خطبة فاطمة (ع)
- (٤١) صفوة الصفوة، ابناالجوزي , ج١, ص١٣ (ت 597 هـ 1200 م:)، دارالمعرفة، بيروت، ط2، 1979 م.
- (٤٢) جدل التاريخ والمتخيا , بسام الجمل , ص١٦
- (٤٣) المصدر نفسه .
- (٤٤) المصدر نفسه
- (٤٥) الجامع الصحيح , البخاري , ج٣ , ص٣٥-٣٦
- (٤٦) جدل التاريخ والمتخيل , بسام الجمل , ص١٧
- (٤٧) تاريخ الطبري , الطبري , ١٩٦/٦
- (٤٨) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب , ص١٣٢
- (٤٩) ينظر : صورة الاسلام والمسلمين في التخيل الاوربي , بدر الدين شوهاتي , ص٢-٥

المصادر :

٠١ القرآن الكريم

٠٢ تذكرة الحفاظ , للذهبي , ج ١ , طبعة ١ , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان , ١٩٩٨ .

٠٣ مسند احمد , احمد بن حنبل , ج ٥ , تح : عادل مرشد , مؤسسة الرسالة , دار الحديث , القاهرة , مصر , ١٩٦٩ م .

٠٤ تاريخ الطبري , الطبري ٣١٠ , ج ٦ , الطبعة ١ , دار الفكر , بيروت , لبنان , ١٩٩٨ م .

٠٥ التاريخ العربي والمؤرخون , شاکر مصطفى , ج ١ , دار العلم للملايين , بيروت , لبنان , ١٩٨٧ م .

٠٦ معجم مؤرخي الشيعة , صائب عبد الحميد , الطبعة ١ , مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي , بيروت لبنان , ٢٠٠٨ م .

٠٧ تهذيب الكمال , الحافظ جمال الدين المزي , ج ١ , الرسالة العالمية , دمشق , سوريا , ١٣٤٢ هـ .

٠٨ نشأة التدوين التاريخي عند العرب , حسين نصار , مكتبة النهضة العربية , القاهرة , مصر , ١٩٢٥ م .

٠٩ ضحى الاسلام , احمد امين , ج ١ , مكتبة طريق العلم , القاهرة , مصر , ٢٠١٥ م .

٠١٠ دراسات في تاريخ الفكر العربي , طريف الخالدي , دار الكتب , الموصل , العراق ,

٠١١ نشأة علم التاريخ عند العرب , العزيز الدوري , مركز دراسات الوحدة العربية , السعودية ٢٠١٦ م ,

٠١٢ تاريخ القرآن بلايبزك سنة ١٩٠٩ (Geschichte des Koran, Leipzig), وقد تُرجم إلى العربية: تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ترجمة جورج تامر

وآخرين، ط ١ (بيروت: مؤسسة كونراد- أدناور، ٢٠٠٤).

- ٠١٣ موسوعة المستشرقين ، عبد الرحمن بدوي ،دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ١٩٨٤م
- ٠١٤ حياة محمد ، محمد حسنين هيكل ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٩٧١م .
- ٠١٥ السيرة النبوية ابن هشام، تح. مصطفى السقا وآخرين، السعودية: دار المُغني، (١٩٩٩)،
- ٠١٦ هاشم معروف الحسني، سيرة المصطفى "نظرة جديدة" (بيروت: دار التعارف، ١٩٩٦)،
- ٠١٧ سُبُل الهدى والرّشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الشامي، تحقيق الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزّار (القاهرة: لجنة إحياء التراث العربي) ، مصر .
- ٠١٨ الوحي والقرآن والنبوة ، هشام جعيط، ، ط ٢ (بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٠)، لبنان .
- ٠١٩ جدل التاريخ والمتخيل سيرة فاطمة ، بسام الجمل ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، ٢٠١٨م .
- ٠٢٠ الميزان ، الطباطبائي، ج٢٠ ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت لبنان ، ، ١٤١٧هـ
- ٠٢١ فضائل سيدة النساء ، لابن شاهين ، دار ابن الاثير ، الكويت ، ٢٠٠٤م .
- ٠٢٢ في بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ط بيروت، دار الرضا (ع) عبد الزهراء العلوي
- ٠٢٣ أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (المتوفى: ٢٨٠هـ) صححه وشرحه: أحمد الألفي الناشر: مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة عام النشر: ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م عدد الأجزاء: ١ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]
- ٢٤ صفوة الصفوة، ابن الجوزي ، ج ١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ٢، 1979 م.
- ٠٢٥ Henri Lammens, Fâtima et les filles de Mahomet, notes critique)
- ٠٢٦ pour l'étude de la sîra (Roma: Pontif. InstitutumBiblic 1912)

Ibid., xiii = «Lammen's more extreme views».

Lammens, Fâtima, p. 139= «la biographietouffue de Fâtima(٢٧):

composition hétérogène27٠٢٩d'éléments pour

l'immensemajoritéapocryphes et fréquemment contradictoires»28.

. (٣٠) Daniel, Islam and The west, op. cit., p. 273= «The creation of a

legend of his life was30 an important part of anti-Islamic polemic, and of

the Christian approach to Islam».

